التّراث العربي و الفكر اللساني الأوروبي الحديث*

أ/ عبد القادر بن التوايّ جامعة عمار ثليجي –الأغواط–

أهم مقومات البحث العلمي الدليل والبرهان. فمن السّهل أن يقول الإنسان الباحث ما شاء ممَّا يعتقده، وأن ينسب وينتحل ما شاء له ذلك من القواعد والنظريات، وفي النهاية يجد نفسه مطالبا بتقديم الدليل والبرهان، وإثبات كل الإدعاءات، فإن هي صحَّت نَمت وربَت، وإن كانت غير ذلك زالت واندثرت، فالأمر كله قائم على هذين المقومين أو الشرطين، بهما نالت النظريات والأحكام صفة الشرعية، وافترشت مساحة البحث العلمي، كلّ يحللها ويدقق في أمرها من منطلقه وتصوره.

عندما طرحت قضية النحو العربي وتأثيره في فكر الباحث اللساني الأمريكي نوام تشو مسكي لم يستسغ بعض الباحثين هذا الطرح، وهو طرح قديم مضى عليه أربعون سنة، حيث يرجع بالتحديد إلى 1980م، حين ألقى الدكتور عبد الرحمان الحاج

صالح الجزائري محاضرة في دمشق، وتحدث فيها عن مدى تأثر تشومسكي في نظريته اللغوية بالنحو العربي والخليلي خاصة.

وهنا ذكر الدكتور مازن الوعر- رحمه الله- في رسالة أرسلها إلى الدكتور الحاج صالح جاء فيها ما يلي: الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، تحية عربية طيبة من واشنطن. أما بعد فقد تذكرت قولك لنا في دمشق معشر طلبتك في إحدى محاضراتك بعدما قابلت عالم اللسان الأمريكي تشومسكي بأنه كان قد تأثر شيئا ما بتراثنا اللغوي .والواقع أنني لم أدرك هذا تماما حتى ذهبت بنفسي إليه وسألته عدة أسئلة وقد تفضل بالإجابة عنها.[1] والرسالة موقعة مازن الوعر كمبرج – ماستشوستش 31 كانون الثاني 1980 ومرفوقة بنص الحوار الذي أجراه الدكتور مازن مع الباحث العالمي تشومسكي الذي أكد فيه إطلاعه على النحو العربي بل والاستفادة منه.والرجل تكلم بحرية مطلقة، وصدق، أثبت لنفسه وللناس أجمعين صفات النبالة والإخلاص وميزات العالم الباحث الذي يبحث عن الحكمة والحقيقة بغض النظر عن مصدرها وأين وجدت وكيفما وجدت، لا يهم الأصل ولا العرق ولا النسب. ولذلك أثنى عليه الدكتور الحاج صالح فقال: أما فيما يخص نظرية تشومسكي فلا بدّ أن نعترف لهذا الرجل العبقري بالفضل الكبير على اللسانيات كما لا بدّ أن نلفت نظر الإخوان اللسانيين إلى أنه قد عرف الشيء الكثير عن النظريات والتصورات اللغوية العربية وذلك من خلال دراسته الأجرومية على أستاذه روزانتال...[2]

لقد كان العالم اللغوي نوام تشومسكي في أسمى مراتب الباحث النزيه الملتزم بمبادئه والمستعد للتضحية من أجلها، ولنا أن نعرف تشومسكي السياسي ومواقفه السلمية وما لاقى من قومه اليهود المتعصبين جراء ذلك.

لكن الغريب لما تقرأ مقال بعنوان تأثير النحو العربي في نظرية العالم تشومسكي للدكتور جاسم علي جاسم سنة 2010 يطغى عليك اليأس، وينتابك الهلع، ويزداد بك الفزع، كلما أوغلت في قراءة البحث، سطرا فسطرا، بل كلمة فكلمة، وإنه من أخطر ما ذكر مجموعة نقاط أرى أنها أساسية مع أن هناك أمورا أخرى كان يجب طرحها ومناقشة الدكتور فيها، لكن لطولها، وقد تأخذ مناحي أخرى تبعدنا عن حقيقة ما نحن بصدده.

من غريب الأحداث أن يتناول هذا الدكتور قضية تم الفصل فيها منذ زمن بعيد، والتي حكم فيها قاضي القضاة الدكتور الحاج صالح منذ عقود طويلة، ووقّع فيها العالم الباحث نوام تشومسكي اعترافه التاريخي العلمي النزيه، والاعتراف سيد الأدلة كما هو في علوم القانون، وحوار الدكتور مازن يؤكد أن القضية مفصول فيها، ونحتاج إلى أن ندفع بالبحث إلى اكتشاف تأثيرات أخرى لأن ما أدركه عالم اللسان الجزائري الحاج صالح، من خلال الترجمات التي قام بها المترجمون الأوروبيون في فترة زمنية تمتد من القرن الثاني عشر إلى القرن العشرين، وما حوته مكتباتهم من مخطوطات عربية إسلامية باعترافهم، إلى اللغة اللاتينية أدرك أن جل ما توصل إليه البحث اللساني الأوروبي في

القرن التاسع عشر والقرن العشرين إنما هو نتيجة البحث المقارن بين اللغات السامية العربية خاصة وغيرها.

ومما ذكره أيضا الهدف من دراسته هو بيان تأثير النحو العربي بطريقة غير مباشرة في نظرية علم اللغة لدى تشو مسكي، التي يعدها من بنات أفكاره..[3] .فكيف يعقل أن يقول تأثير غير مباشر، والرجل يقول استفدت أيَّما استفادة من النحو العربي والخليلي خاصة، ثم تّقول على تشو مسكي عندما قال التي يعدها من بنات أفكاره[4]، وهو يرى عكس ذلك تماما بل يعيد الفضل إلى الكثيرين بما فيهم الباحثين الأوروبيين خاصة فان همبولت.الذي قيل إن أفكاره لم تكن منسجمة مع أفكار عصره بقدر ماهي منسجمة تماما مع نتائج البحث اللساني في القرن العشرين، ولنا أن نجد أفكاره في نظرية التحويل والتوليد واضحة جلية.

أما التناقض الذي وقع فيه الدكتور جاسم ولا يحق له ذلك فبعد أن تحدث عن التأثير غير المباشر كما رأينا قال:وأن نسلط الضوء قليلا على البنية العميقة والسطحية عند الجرجاني ومدى تأثر تشومسكي بها، بل حتى غيره من الباحثين البارزين، فنظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني نالت حظها الأوفر في حقبتها الزمنية، ونالت اعتراف العلماء من كل أصقاع العالم من أبرزهم تشومسكي في مفهومي البنية السطحية والبنية العميقة، واتفاقه مع دي سوسور على أن اللغة نظام تواصلي، والبنية ليست سوى منهج بحث، يحاول أن يجمع كل الأجزاء والعناصر التي لها علاقة في إحداث التواصل

اللغوي، كما يتفق معه في قضية الدال والمدلول والمرجع الذي يحقق علاقة الاعتباط بينهما.

كان العلامة الحاج صالح –حفظه الله– يتقن اللاتينية تماما، وبالتالي أدرك هذه الحقائق، وراح منذ أكثر من أربعين سنة وما زال يؤكد على ضرورة الرجوع إلى التراث العربي الإسلامي وفهمه كما تصوره اللسانيون العرب الأولون، ولنا في الآليات الحداثية من تقنية ومناهج تمكن من إضافة بناءات أخرى عظيمة، بدل من التطلع إلى الغرب، تطلع الصبي إلى أمه، والتقي إلى ربه، وأن نقف في دائرة البحث اللساني العالمي موقف المشارك القوي بحكم هذا الرصيد التراثي الضخم.

نحن أمام تأكيد التراث العلمي العربي والإسلامي بالدلائل العلمية في غيره من اللسانيين البارزين أمثال دي سوسور.وهو حاصل بالضرورة، فعندما نرجع إلى علاقة الاستشراق الألماني بالتراث العربي بصفة خاصة، ندرك ذلك.

أما قضية إن الجرجاني فإنه الوحيد الذي لم يُهضم حقه في مجال الدراسة، بل إن معظم الدارسين تناولوا نظريته بالشرح والتحليل وبنوا نظرياتهم على ما قدّمه الجرجاني في توسعة ما ذهب إليه سيبويه والخليل قبله في نظرية النظم فهو قد لقي من الإشادة والتنويه الكثير، خاصة ما تضمنه كتابه دلائل الإعجاز من مذهّبات ونفائس.

والباحثون الأوروبيون أيضا أشادوا بالجرجاني وبنظريته الفريدة، وهنا يمكن أن تنشأ دراسات تقف على آثار الجرجاني في اللسانيات الأوروبية والأمريكية على نظير

ما قام به الدكتور محمد عباس في الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر. والتّحول إلى شخصيات أخرى تراثية لا تحصى، لأن ما يوجد في التراث اللغوي العربي من الشخصيات و النظريات المغمورة ما يتجاوز نظرية الجرجاني جودة ودقة.

أما الأهم والتي تحدث فيها الدكتور جاسم علي جاسم عن المعارضين لفكرة التأثر، فالمعارضون يجزمون قطعيا بعدم تأثر تشومسكي بالنحاة العرب السابقين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والدليل هو ما ذكروه من رسائلهم له وقناعاتهم الخاصة في هذا الميدان، قال: يذكر السيد المزيني حمزة بن قبلان في كتابه: (تشومسكي في عيد ميلاده السبعين)،(•). أما التراث فقد نسي يقول: وأما النتيجة المبدئية التي آل إليها نسيان التراث العربي حصيلة اليوناني، ولكن في معزل عن مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التفكير اللغوي عند العرب، فإذا جاز لنا أن نبسط القول مصادرة في البحث أمكننا أن نقرر افترضا أن أهل الغرب لو انتبهوا إلى نظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة لكانت الألسنية المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلها كانت تكون قد أدركت ما لم تدركه إلا بعد أمد. وما دام أن الدراسات اللغوية العربية لم تنتقل إلى الغرب فهي بالتالي لم تصل إلى تشومسكي بالطريقة التي تفترض دائما[5] وهذا كلام متناقض يوحي أن الرجل لا يدري ما يكتب.

والحقيقة أن الدكتور جاسم أشار إلى التناقض الذي وقع فيه المزيني حين قال: فالمزيني يناقض نفسه بنفسه[6] وذكر أنه يدرك تمام الإدراك أن سلفستر دي ساسي(•)

كان متضلعا في العربية والكثير من اللغات الشرقية التي كان لها دور كبير وحاسم في نقل علوم العربية وترجمتها إلى اللاتيبية أو الألمانية والفرنسية والانجليزية.بحكم أنه تولى إدارة مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس سنة (1795) التي اصطحب نابليون بعض خريجها أيام حملته على مصر وإلى هذه المدرسة وفد الجيل الأول من التلاميذ الألمان الذين تحولوا إلى الرواد الكبار للاستشراق الألماني بعد عودتهم إلى بلادهم منهم:فلهلم فرايتباغ(1788-1861)وهايزش فلايشر(1781-1888)وغوستاف فليغل (1802-1870) ويمثل هذا الجيل الاستشراق الكلاسيكي (الفيلولوجي) الذي صب اهتمامه على دراسة اللغة ونشر النصوص المحققة على نحو علمي فريد..[7] وما قام بترجمته وستنفلد من مخطوطات ولو أن هذه الترجمات لم تقتصر عن الأعمال اللغوية فحسب، فقد شملت الكثير من كتب الشعر والأدب منها بدعوة التشابه بين العربية والعبرية،وهناك تشابه بينهما لأنهما من أصل واحد يقول ابن حزم: إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي، وإذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها.ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة. وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله. ونحن نجد

العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق. فنجدهم يقولون في العنب: العينب وفي السوط أسطوط.. وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة. وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمدا إذا أراد أن يقول محمدا.ومثل هذا كثير. فمن تدبر العربية والعبرانية السريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم.وأنها لغة واحدة في الأصل[8].

لذلك تمت استعارة المصطلحات الفنية والفئات من اللغويين العرب لاستعمالها في التحليل الوصفي للغة العبرية يقول روبيتز هنري: ومع نهاية القرن الثاني عشر كانت قواعد العبرية يكتبها اليهود القاطنون في اسبانيا وفي غيرها من البلاد .....وقبل ذلك كتب يهودي إسباني آخر هو ابن بارون دراسة مقارنة للغتين العربية والعبرية[9] ولكن هذا لا يعني أن الترجمة كانت محصورة في هذا السبب، بل إن الأوروبيين أنفسهم ساهموا في هذه الترجمة فقد ترجموا كتاب أبي نصر الفارابي(إحصاء العلوم) مرتين، الأولى في القرن الثاني عشر إلى اللاتينية، والترجمة منسوبة إلى Gerard de Cremona ترجمة كاملة ومطابقة للنص العربي للكتاب. ثم أعيدت ترجمته في القرن السادس عشر إلى الانجليزية، وإحصاء العلوم من أشهر ما كتب في علوم اللسان، الذي وجد طريقه إلى أوروبا من خلاله، أضف إلى ذلك أن هذا المصنف كان معروفا في المدارس اليهودية وتشير المصادر إلى أن موسى بن عزرا انتفع به كثيرا .

إن الإمام الفارابي أول من استعمل مصطلح علوم اللسان، بترجمتها إلى science de language (10). وكل اللغات الأخرى، والفارابي يقدم علما لسانيا أصيلا ومبدعا من خلال اللغة العربية، صحيح أنه نقل الفكر الأفلاطوني والأرسطوطالسي إلى العربية، ولكنه تحول إلى مرحلة الإبداع فأضاف جديدا تمثل في مصنفه الذي حوى علما إنسانيا يقول:فعلم النحو في كل لسان إنما ينظر في ما يخص لسان تلك الأمة وفي ما هو مشترك له ولغيره، لا من حيث هو مشترك لكن من حيث هو موجود في لسانهم خصوصا.(11) ومن مفاهيمه اللسانية تقسيمه لعلم اللسان عند كل أمة إلى سبعة أجزاء عظمى:علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة وعلم القوانين عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الأشعار.وهو يجعل كل قسم منها علما قائما بذاته.

والأكيد أن الأوروبيين واليهود نقلوا واستفادوا كثيرا من التراث العربي فقواعد اللغة العبرية وضعت من تصورهم لنظام قواعد العربية والتشابه قائم بينهما ففي العبرية والعربية نجد أن الجملة مكونة أساسا من مسند ومسند إليه هما أساسا الجملة والمسند إليه هو الذي نتحدث عنه في الجملة ، والمسند هو الذي نتحدث به في المسند إليه، والمسند إليه اسم دائما، والمسند إما اسم أو فعل، وتغلب على اللغات السامية الأصوات الحلقية كالعين والغين والحاء والهاء والأصوات المفخمة كالصاد والطاء، كما أنها في الصيغ الفعلية لا تهتم بالأزمنة الثلاثة وفروعها، وهي الماضي والحاضر

والمستقبل، ولذلك نجد العربية صيغتين للفعل وهما الماضي للحدث المنهى، والمضارع الذي لم ينته، ولذلك يصلح للحال والاستقبال، وهناك أدوات تجعله للمستقبل خالصا من السين، وسوف، ولن، وأدوات أخرى تجعله للماضي مثل :لم.فإذا كان هذا الترابط بين اللغتين، واعتقاد الأوروبيين وعلى رأسهم روشلين Reuchlin، وقد كتب العديد من المؤلفات في قواعد العبرية في أوروبا وعلى الأخص مؤلف rudimentics De Hebraicis أين لفت أنظار علماء الغرب، إلى نظام أقسام الكلمات المختلف جذريا الذي يستعمله علماء القواعد العبريون، وهو تقسيمها إلى (اسم وفعل وأداة) والأسماء والأفعال قابلة للتصريف، أما الأدوات فلا تقبله.

وقد قام روشلين بمواءمة التراث القواعدي العبري بالتراث القواعدي اللاتيني...(12) وروشين هو عالم كلاسيكي وأحد قادة النهضة في ألمانيا، لأن ألمانيا كانت من أكثر دول أوروبا تطورا في البحث العلمي خاصة في القرن التاسع عشر، وكل علماء اللسان البارزين في أوروبا إما أنهم ألمان أو درسوا وتخرجوا من معاهد ألمانيا، بما فيهم دي سوسور يقول روبيتز: كان علم اللغة في القرن التاسع عشر مركزا إلى حد كبير على الدراسة التاريخية للغات الأوروبية، والتي تم فيها معظم التقدم والتطوير في المنهج والنظرية، وكانت هذه الفترة من علم اللغة محفوظة تقريبا للعلم الألماني، أما هؤلاء الذين عملوا في هذا الميدان من أقطار أخرى فإنهم إما درسوا في ألمانيا مثل الأمريكي و.د.ويتني W.D.whitney أوكانوا خبراء ألمانيا مثل ماكس مولر Max

Muller في اكسفورد الأخوين أ.و.وف.شليجل A.W.and F.Schlegel وف بوب F.Bopp وبوت A.F.Pott[13] وهنا ينبغي التركيز على البحث اللغوي الألماني لأن أفكار دي سوسور نمت وتخمرت في ذهنه بعد اطلاعه على أبحاث الألمان ، وهو فيما ذكر عنه أنه كان معجبا أشد الإعجاب بفكرهم وأبحاثهم، والعلاقة بين الألمان والمسلمين استشراقيا انطلقت منذ أكثر من اثني عشر قرنا من الزمان، متميزة ومتأثرة بشكل فريد من أشكال المشاركة الوجدانية ومشاعر الاستلطاف والود، وما ذلك قطعا دون سبب، فإننا في الحقيقة نجد في طبيعة كل من العرب والألمان بعض السجايا والسمات المتشابهة منذ العصور الوثنية وقيل أول لقاء بينهما بزمن طويل فالبرغم من الفروق العرقية لا يخفى هذا الانسجام الفريد وذلك الارتباط النادر الذي لا وجود له البتة بين الشعوب الأخرى، ويعتبر أول مستشرق ألماني اشتغل بالعربية ج.ج.رايسكه.

فالاستشراق الألماني كان بدافع اكتشاف أو فضولية فهو لم يكن خاضعا لغايات سياسية أو استعمارية أو دينية مثلما كان عند الأمم الأخرى الذي اتصف بالعدائية واحتقار الشعوب يقول الدكتور علي بن إبراهيم النملة:رغم وجود مستشرقين أتوا بآراء خاطئة تماما مثل آراء تيودور نولدكه 1836–1930 عن الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ومثل اتكاء بعض طلائع المستشرقين الألمان على الاستشراق الفرنسي ممثلا في سلفستر دي ساسي (1758–1838) هذا المستشرق الفذ الذي أسس أخطر حلقة علمية عرفها التاريخ يقول الحاج صالح:وأهم هذه الحلقات بل أخطرها (لأنها جمعت

كل الباحثين تقريبا الذين سينالون حظا وافرا من الشهرة في القرن التاسع عشر في علوم اللسان)هي حلقة العالم الفرنسي سلفستر دي ساسي Silvestre de Sacy(1758–1838) وقد امتاز هذا الباحث الجليل القدر عن سابقيه (وحتى عمن سيأتي بعده) بمعرفة واسعة جدا للغات الشرقية، وما نشره أهلها قديما في الدراسات اللغوية وكان متضلعا بالخصوص في علوم اللغة العربية فهو الذي كوَّن شيزي في اللغة السنسكريتية والأخوين فون شليجل والأخوين جريم وفرانتس بوب وفون همبولت وغيرهم كثيرين وأهم شيء اكتسبه هؤلاء من دروس دي ساسي هو اطلاعهم من خلال دراستهم العربية واللغات السامية الأخرى على المفاهيم اللغوية والنحوية العربية التي كانت تنقصهم في ثقافتهم الفيلولوجية التقليدية، وكذلك كان الأمر بالنسبة للنحو والصوتيات[14].

فهذا علم واسع غير محدود بمكان ولا زمان، فهو ممتد عبر العالم بحضاراته المتكاملة، فهو بالأمس كان عند الهنود ثم انتقل إلى اليونان، ومرَّ على الفرس، واستقر زمنا عند المسلمين ثم هجرهم إلى غيرهم وهكذا، ولا عيب إطلاقا في أن يستفيد العلماء الباحثون من بعضهم البعض، فكل أمة مطالبة بأن تُكمل من حيث توقف الآخرون السابقون. وبالتالي نعتصم جميعا بحبل الاستمرارية العلمية الحقيقية تحت مبدأ الانتماء الإنساني، ومشاركة الجميع في بناء التواصل والتكامل بين بني الإنسان، ومنه تَحفظ و تضمن كل أمة حقها بما ابتدعته وحققته من نتائج علمية.لا يحق للخلف أن ينتزعها

منها وينسبها لنفسه.وهنا أذكر أن أحد الباحثين المجدّين وهو الدكتور علي بن سليمان في دراسة مقارنة بين المدرسة الوظيفية الفرنسية والتراث النحوي العربي قال:وليس معنى هذه المقاربة أيضا أننا نريد أن نرجع كل ما سنجده من تشابه بين فكر الرجل وفكر من تقدمه من علماء العربية إلى التأثر أو الأخذ المباشر.[15] ولا اتفق معه لأن في ذلك هدر وتضييع لحقوق الباحثين، إنها مجهودات فكرية توصل إليها أصحابها بعد جهد وتعب، ولربَّما أنفقوا من أموالهم أو أضاعوا من مراحل حياتهم أزهى فتراتها، وأضاعوا في سبيلها أيضا حقوق غيرهم ..وفي الأخير تؤخذ منهم غلابا، وتنسب لغيرهم ببساطة!! فهذا لا يقبله لا الشَّارع في السماء، ولا خليفته في الأرض. وفي قضية مارتني بالذات فهو مطلع تماما على التراث النحوي العربي، ويعرف الرضي الاستراباذي أكثر مما يعرف الرّضي نفسُه نفسَه، لأن مارتني من الرّواد الذين زروا الجزائر مرات عديدة، واطلعوا على التراث في أوروبا وفي معهد اللسانيات والصوتيات ببوزريعة الجزائر وهو ذكر ذلك في محاضراته بالمركز.

وهذه الاعترافات ليست جديدة، ولم تك ممكنة لو لم تفرض عليهم فرضا تقول المستشرقة الدكتورة سيجريد هونكة في كتابها فضل العرب على أوروبا أو شمس الله على الغرب: إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية، وأن الدَّين في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جدا، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا!حتى أننا نقرأ

ثمانية وتسعين كتابا من مائة فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة!اللهم إلا هذه الإشارات العابرة إلى أن العرب لا يتعدى دور ساعي البريد الذي نقل إليهم التراث اليوناني[16] أ فبعد هذا الحيث حديث!!في واقع جامعاتنا العربية نعم!! أليس السَّواد الأعظم من طلبتنا يؤمن أن دي سوسور أبوه(أبو اللسانيات)نحن نحترم هذا العالم الأوروبي اللساني وما قدمه للبحث الأوروبي والأمريكي أيضا، ولكنه ليس أبانا، فأبونا هو الخليل بن أحمد الفراهيدي العالم اللساني العربي الفذ العبقري الذي لو سألت عنه لوجدت نصف طلبتنا لا يعرفه ونصف النصف الثاني يسمع به فقط!! والربع المتبقي يعرفه على أنه صاحب العروض فحسب وفي ذلك ظلم كبير كما قال العلامة الحاج صالح:لقد اشتهر العالم اللغوي الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي عند عامة الناس باختراعه للعروض وكثيرا ما يذكر في الكتب القديمة والحديثة بلقب(صاحب العروض) وهذا وإن كان اعترافا له بهذا الفضل إلا أنه ظلم كبير من بعض الجوانب، إذ يعرف الرجل المثقف أن الخليل قد أبدع في جميع ميادين اللغة والدراسات اللغوية العربية خاصة، فنحن مدينون له بجزء كبير مما أثبته العلماء المسلمون في علم الأصوات والنظام الصوتي العربي، وكذلك الفكرة البديعة التي بُني عليها أول معجم أخرج للناس وهي فكرة رياضية محضة سابقة لأوانها ..وما يترتب عليها من المفاهيم الرياضية كمفهوم العاملي وقسمة التراكيب ومفهوم الزمرة الدائرية وغير ذلك .كما ندين له بالكثير من التفاسير والتعليلات العلمية العجيبة للظواهر

اللغوية العربية، ولا ننس أيضا اختراعه للشكل وهو لا يزال مستعملا إلى يومنا هذا في الكتابة العربية[17].

لسنا مدينين لدي سوسور ولا لغيره، فهؤلاء الأوروبيون أخذوا عنا كل ما نفعهم يوم نهضتهم من ضروب المعارف البشرية، وهاهم اليوم يعيدون إلينا شيئا مما تعلموه من أجدادنا وزادوه شيئا قليلا...[18]. فالأحرى أن نعود نحن إلى تراثنا ففيه كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين.

وفي ختام هذا البحث الموجز الذي أشرت فيه إلى أن التراث اللغوي وغير اللغوي الذي أهمل من طرفنا، والآن يستغل من طرف غيرنا، حيث أكد الدكتور محمد أبو الفضل بدران: أن آلاف المخطوطات العربية والإسلامية قد وجدت طريقها نحو المكتبات الألمانية[19] وبلغ عددها في المكتبة الفرنسية سبعة آلاف مخطوطا فما بالك بالمكتبات الأوروبية الأخرى.

وعليه فنحن مطالبون شرعا وقانونا، باسترجاع تراثنا لا بوضعه على الرفوف لينال من غبار الزمن، وإنما بتحقيقه ودراسته والبناء عليه لتطويره لأن التجديد الحقيقي هو الانطلاق من القديم عدا ذلك، فتركه عند غيرنا، أحسن من جلبه إلينا، لأنه في هذه الحالة هو ملك لهم ملكية شرعية وقانونية، فالتراث لمن يخدمه!

الهوامش:

[1] – مجلة اللسانيات معهد العلوم اللسانية والصوتية –العدد 6 –1982

[2] – الحاج صالح– بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ص:215

[3] – جاسم علي جاسم – مقال :تأثير النحو العربي في نظرية تشو مسكي– ص:01

[4] – ملخص البحث تأثير النحو العربي في نظرية تشو مسكي ، جاسم علي جاسم ، ص:1

• – وإنه لأمر ذو أهمية أن يكتب أحد الباحثين العرب!! مثل هذا الموضوع وكان بإمكانه أن يكتب عن لشيخ إبراهيم بن منصور المعروف بالفتال الدمشقي الحنفي العالم الباهر البحر المحقق المدقق، أفضل أهل زمانه علما وأدبا وفقها وعربية وله المهارة الباهرة في علم الكلام والمعاني والبيان والمنطق وغيرها من بقية علوم العربية، مع الوقار والأدب والتواضع والإنصاف، صاحب الأجوبة المسددة عن المشكلات المعضلة.أو عن علي بن أحمد بن عمر القصار الآمدي أو عن يوسف بن عبد الله القيسي المالكي النحوي، وأحد مشايخ الأزهر من آثاره: حاشية على شرح الشذور لابن هشام، شرح الأزهرية، وحاشية على شرح القطر وكلها في النحو. وغيرهم من مئات العلماء المتمكّنين مازالوا ينتظرون من يبحث عنهم ويستخرج مكنونهم من المعارف والمدارك بدل من الكتابة عن مارتني وتشومسكي من منطلق ضعف شخصية والذوبان في الغير

[5] – جاسم علي جاسم – مقال :تأثير النحو العربي في نظرية تشو مسكي– ص:4

[6] – نفس المرجع

• – Antoine _ lsaac Silvestre de Sacy مستشرق فرنسي.

مولده ووفاته بباريس.كان واسع الاطلاع على اللغات الشرقية فضلا عن الغربية.تعلم اللاتينية واليونانية وآدابهما في بيته.ثم انقطع إلى العربية والفارسية، مع علمه بالتركية و العبرية.وقضى حياته في التعليم والتأليف والنشر.وكان أستاذا للعربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس سنة 1795 ومنح لقب بارون (Baron)سنة 1813 وهو أحد الذين عملوا على إسقاط نابليون الأول سنة 1814 وعاش أيام الانقلابات السياسية في عهد

الثورة مترويا في قرية بري (Bery)وفقد كل أملاكه.وأنشأ سنة 1832 الجمعية الآسيوية مشتركا مع ريموزا (Remusat)واختير رئيسا لها.من آثاره بالعربية كتاب (الأنيس المفيد للطالب المستفيد – ط) و (المختار من كتب أئمة التفسير والعربية – ط) في النحو واللغة.
ومما نشر بالعربية كليلة ودمنة، ومقامات الحريري، ورحلة عبد اللطيف البغدادي، وألفية ابن مالك.وترجم إلى الفرنسية كتاب (النقود) للمقريزي، و (البردة) للبوصيري، وكتبا أخرى.وألف بالفرنسية (التحفة السنية في علم العربية – ط) جزآن، لتعليم الفرنسيين النحو والصرف العربيين

[7] – جاسم علي جاسم – مقال :تأثير النحو العربي في نظرية تشو مسكي– ص:4

[8] –ابن حزم– الإحكام في أصول الأحكام–ج/1ص:30

[9] – ر.ه.روبيتز– موجز تاريخ علم اللغة في الغرب– ص:171

[10] – عبد الرحمان الحاج صالح– بحوث ودراسات عي علم اللسان– ص:

[11] – صلاح حسن راشد – علم اللسانيات كما ورد عند الفارابي ص:1

[12] – ر.ه.روبيتز– موجز تاريخ علم اللغة في الغرب– ص: 170

[13] – ر.ه.روبيتز– موجز تاريخ علم اللغة في الغرب– ص: 277

[14] – عبد الرحمان الحاج صالح– بحوث ودراسات في علوم اللسان – ص: 115–116

[15] – علي بن سليمان– المدرسة الوظيفية الفرنسية والتراث النحوي العربي ، ص:134

[16] – عبد الحميد دياب– تحقيق التراث العربي منهجه تطوره– ص:188–189

[17] – الحاج صالح– النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية– ص:16

[18] – عبد الحميد دياب– تحقيق التراث العربي منهجه تطوره– ص:193

[19] – محمد أبو الفضل بدران – الاستشراف الألماني ودوره في نقل العربية– ص:4

مصادر ومراجع البحث:

1 – ابن حزم– الإحكام في أصول القرآن– بيروت –لبنان

2- جاسم علي جاسم – تأثير النحو العربي في نظرية تشو مسكي- **مقال**

2-علي بن سليمان- المدرسة الوظيفية الفرنسية والتراث النحوي العربي- مجلة محكمة صادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

3- عبد الرحمان الحاج صالح- بحوث ودراسات في علوم اللسان – منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.

4- عبد المجيد دياب – تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره-المركز العربي للصحافة-أهلا – القاهرة.

5- روبرت.هتري.روبتر- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب- سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت

6- محمد أبو الفضل بدران - الاستشراف الألماني ودوره في نقل العربية- **مقال**

7- مازن الوعر – حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية- مجلة العلوم اللسانية والصوتية -